سلسلة دروس في العقيدة (٢)

تنزيه السنة والقرآن
عن أن يكونا من
أصول الضلال والكفران

بقلم
أحمد بن حجر آل بوطامي آل بن علي
قاضي المحكمة الشرعية
بدولة قطر

دار الصميعي للنشر والتوزيع

مكتبة ابن القيم
هاتف ٨٦٣٥٣٣
الدوحه - قطر

حقوق الطبع محفوظة

١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

لَاغِنىٰ لِكُلِّ فَاضِلٍ عَنْ قِرَاءَةِ هٰذَا الكِتَابِ
وَتَفَهُّمْ مَعَانِيهِ وَلَاسِيَّمَا مَنْ عِنْدَهُ

حَاشِيَةُ الشَّيْخِ الصَّاوِي عَلَى الجَلَالَيْنِ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام الاتمان الأكملان على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين · أما بعد

فانى أقدم للقراء كتابى (تنزيه السنة والقرآن) فى طبعته الثانية بعد أن قمت بتصحيح أخطاء الطبعة الأولى ، وأضفت اليه زيادات نحو الربع لها قيمتها وتعاليق بسيطة ·

والله أسأل أن ينفع به عباده المؤمنين ، وأن يثيبنى فى يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم ، وصلى الله على نبينا محمد خاتم النبيين والمرسلين ، وعلى آله وأصحابه والتابعين ·

الدوحة فى السادس من صفر عام ١٣٩٩ هـ

المؤلف

احمد بن حجر آل بوطامى البنعلى

(قاضى المحكمة الشرعية الاولى)

بدولة قطر

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لانبى بعده وعلى آله وصحبه ومن اقتفى نهجه أما بعد :

فلما كان المسلمون السالفون فى عهد الرسول وأصحابه والتابعين ومن أتى من بعدهم وسلك منهجهم ، أمامهم وقائدهم فى جميع شئونهم الدينية والدنيوية هو القرآن الحكيم ·

يمتثلون اوامره وينتهون عن نواهيه ويعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه ويتعظون بمواعظه ويعتبرون بقصصه ويتلونه آناء الليل وأطراف النهار متدبرين وخاشعين ، ولاوامره منقادين · ويرونه شفاء لامراض الصدور من الكفر والشرك ، والشقاق والفجور ، وهاديا يهديهم الى الطريق الافضل والسبيل الاقوم كما قال تعالى (أن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم) ·

وهكذا كان موقفهم تجاه السنة المطهرة ، أعزهم الله بعد الذل وأغناهم بعد العيلة ووحدهم بعد ما كانوا متفرقين ، وجعل لهم الكلمة العليا فى العالمين ، واذل الله لهم الكافرين والجبابرة الظالمين وبوأهم من حدود أوروبا الى الصين ، وأصبحوا دعاة هداية ورحمة وعدل وامان ، وحكموا بالوحيين · ونشروا العدل بين المشرقين والمغربين فاسعدهم الله وأعلى مقامهم وجعل الذل والصغار على من خالفهم وناواهم ، وهابتهم الدول الكافرة التى

كانت اكثر عددا واقوى عدة واوفر سلاحا من المسلمين ، وسعد الناس مسلمهم وذميهم تحت ظل الاسلام وعـــدالته ورحمته • وعرفوا محاسن الاسلام واهدافه العليا • ولذلك دخل كثير من الكفار من مختلف الأديان والمذاهب فى دين الاسلام رغبة منهم واختيارا لهـذا الدين الحنيف ، وذلك كله ببركة أتباع المسلمين الأولين للقرآن الكريم وسنة سيدنا محمد عليه افضل الصـــلاة والتسليم •

ولما انحـرف أكثر المســلمين عن كتاب الله المجيـد وعن السنة المطهرة فى عقائدهم واعمالهم • تفرقوا شيعا واحزابا ، تفرقوا فى العقائد والمذاهب ، تفرقوا فى سياستهم واحكامهم ، تفرقوا فى مناهجهم ومشاربهم وتشتت كلمتهم ووهنت قيمتهـم واستولت على اكثرهم الأعداء واذاقوهم العذاب المهين • ونما فى الإعراض عن القرآن العظيم وعن سنة الرسول الكريم ما جمد به أكثر العلماء على التقليد وقالوا أن الاجتهاد قد انقطع من القرن الرابع ، وانه لا يمكن الاجتهاد لأحد من ذلك العصر الى آخـر الدهر لعدم توفر شروط الاجتهاد ورموا كل من ادعى الاجتهـاد وبرهن بالحجج والبينات على ماذهب اليه ، بالبدعة والضـــلال والزيغ والاضلال وجمدوا على كتب كتبها العلماء الســالفون رحمهم الله فى الفقه •

تلك الكتب التى اكثرها مجرد من الدليل ، وحـرموا على انفسهم ومن اتبعهم الهداية الكاملة والاستنباط فيما يحدث من المسائل والمشاكل من هذين المصـدرين اللذين لاينضب معينهما ولا تنقضى عجائبهما حتى معرفة حجج المذاهب وادلتهـــا وبيان الراجح والمرجوح منها • قد اعرض اكثرهم عنها مكتفيا بمـا درسه من متن او شرح فى مذهبه ، وجعلوا دراســة القــرآن

والحديث لمجرد التبرك لا للاستدلال لحل المشاكل فى النوازل (١) ولا للاعتبار والاتعاظ والاهتداء بهديه الكريم •

وكان من نتائج قولهم هذا ان فشت البدع فى المســلمين حتى فى المنتسبين للعلم والمؤلفين واعرض اكثرهم عن هـداية القرآن المبين • وطفت الحكام على الأنام الامن قل منهم ومشـوا منقادين لاهوائهم واستبدوا بالعباد وتركو احكام الشرع الشريف المبنى على الوحيين المطهـــرين واســـتوردوا قوانين اهل الكفر والملحدين • ومن نتائج ذلك القول انه كلما مضى قرن واتى قرن جمدوا اكثر فاكثر وضيقوا النطاق على انفسهم وغيرهم ورأوا أن كل من يخالف مذهبا من المذاهب الأربعة ولو كان معتصـــما بالدليل ، زائغا وضالا عن سواء السبيل ومستحقا للمقت والهوان واتصافه بالبدعة والخذلان حتى جاء فى القرون المتاخرة • من كان أكثر امعانا واغراقا فى هذه البدعة النكراء والجهالة العمياء ،

---

(١) موقف هؤلاء متناقض ومضـطرب فبينما هم يوجبون التقليد ويمتعون الاجتهاد تراهم فى كتاب القضاء يقولون من شروط القاضى أن يكون مجتهدا عارفا بادلة الســـنة والكتاب واختلاف العلماء ومواقع الاجماع والنزاع ، ومعـــرفة علم الاصول وسائر العلوم العربية الى غير ذلك من الشروط •

الموقف الثانى • من تناقضـــهم أنهم اذا أحبوا عالما من العلماء يتوجونه بتاج الاجتهـاد • كما قال الشيخ ابن حجر فى السبكى أنه المجتهد المتفق على جلالته واذا وقع نزاع بينهم وبين علماء المذاهب الاخرى تراهم يوردون الادلة فى تأييد مذهبهـم ورأيهم حتى لو كان بدعة وشركا كما فعلوا فى تحسين التوسل وامثالها كثيرة • ومنها بدعة المولد ، وبدعة صلاة الظهر بعد الجمعة ومنها ومنها ••• الخ • مما لسنا الآن بصدد بيانه .

وأكثر تعصبا للمذاهب ولتلك الحواشي والمتون ، حتى كانها من الوحى المكنون حتى قال بعضهم وياليته ما قال ان الأخذ بظواهر القرآن والسنة من أصول الكفر •

ولم أسمع من أحد استنكارا ولا ردا على هذه المقالة التى طعن بهـا الدين فى صـــميمه والتى مؤداها الحط من شـــان القرآن وقيمته •

وقد يكون حصل استنكار من بعض الفضلاء لكنه مجرد كلام لم يخرج الى حيز النقد واعلام الأنام ، مع أن هذا الكتاب الذى فيه هذا القول متداول عند اكثر العلماء والطلاب ، وان بعض العلماء ليرد وينتقد فى بعض المسائل الفرعية التى هى أقل شانا من هذا القول بكثير ، وقد شاء الله ان يقع الكتاب فى ايدى بعض الفضلاء العمانيين • فاستنكر هذا القول الخاطىء وكتب سؤالا مستنكرا ومستفهما عن هذه المقالة التى هى فى غاية الجهل ونهاية الضلالة وكانه يقول كيف يصدر هذا القول من عالم مسلم وهل مرجع الناس فى دينهم الا الى الكتاب والسنة • فاذا كان الكتاب والسنة موصوفين بما وصفهما هذا الشيخ وانهما بهـذه المكانة • فكيف يعمل الناس ؟ هل لهم مرجع فى شئون دينهـم ودنياهم غير هذين ؟ !!

والحاصل ان هذا قول مستنكر ويحق للشيخ العمانى ان يستنكره • بل ويجب على كل مسلم فيه ذرة من الايمـــان ان يستنكره وان يرد على قائله مهما بلغت مكانته وسمت درجته •

وكيف لا يستنكر هذا القول وهو قد أتى على الشرع من قواعده وضرب الدين فى صميمه وحط من شان القرآن ، وحكم بالزيغ على من أخذ بالدليل والبرهان،اذا خالف رأى فلان وفلان،

ولا يشفع له ان كان له حسن قصـــد • فان الاحكام تجرى على الظواهر والله يتولى السرائر •

فاذا كان الاخذ بظاهر القرآن والسنة كفرا كما زعم هذا الشيخ ، فكيف اهتدى أصحاب الرسول والتابعون وتابعوهم من عصر الرسول ، الى عصرنا هذا الى أن تقوم الساعة •

وهل كان لاهتدائهم مصدر غير القرآن والسنة • وما اخاله يقول انه كان اعتمادهم على غير هذين المصـــدرين من الكتب السالفة او من العادات والاعراف واذا كان لا يقول بذلك وهو الظن فان قال انهم كانوا يؤولون الظواهر من الوحيين الشريفين•

فحينئذ يرد عليه : هل كانوا يؤولون جميع الظواهر منهما او بعضها ؟ فان قال الكل فقد بان جهله وضلاله وارتمى فى احضان الباطنية •

وان قال البعض فيقال له لم لم تقيد الاخذ بالبعض وتحدد ما هو قابل للتاويل وما هو غير قابل •

ثانيا : الاخذ بالعقائد الكلامية المستقاة من منابع المنطق والفلسفة ، هداية وخير !! والاخذ بظواهر القرآن والسنة مع مافيهما من التوحيد لله وتنزيهه كفر ؟!

والاخذ بكتب المخرفين التى فى بعضـــها من الدعوة الى القبورية الوثنية واستحسان البدع الضالة شفاء ونور ، والاخذ بظاهر القرآن كفر ؟!

واذا كان الشيخ من المهتدين ، فمن أين جاءته الهداية ؟

فان قال من القرآن والسنة واقوال العلماء المهتدين •

فيقال له القرآن والسنة جعلتهما من اصول الكفر • فلا تفيدك دعوى الاهتداء بهما •

وان كان اهتـــداؤك من غير هذين الوحيين فكفاك خطا وضلالا • وسياتى الكلام مفصلا •

وسميت هذا الكتاب الذى هو جواب السائل (تنزيه السنة والقرآن عن أن يكونا من اصول الضلال والكفران) وهو حسبنا ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله •

والى القارىء نص السؤال والجواب •

مـــؤلفه
أحمد بن حجر آل بوطامى
البنعـــلى

السـؤال :

فى حاشية الشيخ أحمد الصاوى على الجلالين فى شرح آية الاستثناء فى سورة الكهف جاء قوله لايجوز تقليد ما عدا المذاهب الاربعة ، ولو وافق قـــول الصـــحابة والحديث الصـحيح والآية فالخارج عن المذاهب الاربعة ضال مضل وربما أداه ذلك للكفر لان الاخذ بظاهر الكتاب والسنة من أصول الكفر أهـ بالحرف الواحد • ثم تكلم الســائل بكلام ملؤه الاشمئزاز والاستنكار لما يترتب على ما قال هــذا الشيخ من النتائج التى لاتحمد • ثم قال : نرجــو كشف هذه المعانى بقطع النظر عن كل مذهب وهل جاء الاسلام بمذاهب أربعة نرجو بيانهــا بالكتاب والسنة . وكلنا عبد مسلم يدعو الى الحق والى الاخذ بالكتاب والســـنة ، وهل لنا غير ظواهر الكتاب والسنة ؟

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه والتابعين والائمة المهتدين • أما بعد :

ليست هذه المقالة التى قالها الشيخ الصاوى هى خطؤه الوحيد بل له أخطاء أخرى منها أنه فهم من قوله تعالى فى سورة آل عمران « فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله » •

ان ماقاله نصارى نجران من أن عيسى ابن الله هو ظاهر كتاب الله ، ولذا جعل مثلهم من حذا حذوهم فأخذ بظاهر القرآن ، تجرأ بذلك القول السخيف الواضح البطلان من أن الاخذ بظاهر القرآن والسنة من أصول الكفر •

وقد رد عليه العلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى فى هذا المفهوم الخاطىء ردا أجاد فيه وأفاد ، وقطع عرق المشاغبة والعناد وذلك فى تفسير سورة محمد ، وبما أنه لم يطبع هذا الجزء الذى فيه رد الشنقيطى فلم اطلع عليه الا بعد أن انتهيت من الكتاب •

وكتبت الى بعض الاصحاب أن يسأل علماء مذهب مالك عن قول الصاوى فى سورة الكهف الذى جاء السؤال من أجله ، فأجاب : أنه سأل بعضهم فخطاه فأرسل الى ملخصا من كلام الشيخ محمد الأمين فالحقته بآخر الكتاب •

ومن أخطائه أنه قال فى سورة فاطر فى تفسير قوله تعالى « أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا » • انها نزلت فى أبى جهل وغيره من مشركى مكة وقيل نزلت فى الخوارج الذين يحرفون تاويل الكتاب والسنة ويستحلون بذلك دماء المسلمين واموالهم ، ثم قال ان الوهابية نظائر الخوارج • وسيأتى نقد كلامه فى آخر الكتاب •

وهذا الشيخ(١) ليس من العلماء المحققين والمتضلعين من علوم الكتاب والسنة ولكن هو من المتأخرين الذين نالوا حظا من فقه مذهب مالك ، ونال قسطا من العلوم العربية حسب ما يظهر من تأليفه ومن الذين تأثروا بخرافات الصوفية فلا يقام

---

(١) توفى الشيخ الصاوى سنة ١٢٤١ هجرية ، وكان مالكى المذهب ، أشعرى العقيدة ، ينتحل الطريقة الخلوتية من الطرق الصوفية • ومن مؤلفاته حاشية على الجلالين ، وحاشية على شرح أقرب المسالك للدردير •

لكلامه وزن ، ولا يعد من أهل العلم ولا يعتبر كلامه حجة ·

اذا علم هذا فكلامه يتضمن عدة مسائل ·

الأولى : التقليد من حيث هو ·

الثانية : تقليد المذاهب الاربعة لا سواها ·

الثالثة : الخارج عن تقليد المذاهب الاربعة ضال مضل ·

الرابعة : الاخذ بظواهر القرآن والسنة من أصول الكفر نعوذ بالله من هذا الكلام ·

وقبل الدخول فى الاجوبة يجدر بى أن أبين كلمة وجيزة عما أعتقده وادين الله به ، ويعتقده ان شاء الله كل مسلم رائده الحق واتباع القرآن والسنة · بالنسبة للمذاهب أى مذهب كان ·

ثم الكلام عن مكانة القرآن وجلالته وروعة آياته ، ولماذا أنزله الله تعالى · وهل كما زعم الصاوى ؟ ثم الكلام على بقية المسائل ·

أما الكلمة الأولى : فالذى أقوله وأعتقده وأدين الله به أن ما قاله الشيخ الصاوى عفا الله عنه خطأ· مخالف للسنة والكتاب · ليس عليه شبهة الصواب ، فضلا عن أن يكون له حجة أو دليل أو حكمة

أو تعليل ، وكما أنه مخالف للوحيين مخالف لأهل العلم المعتبرين الذين يأتم بهم المسلمون ويقتدون بهم كالائمة الاربعة ، والسفيانين ، والليث ، والاوزاعى ، وابن المبارك ، واسحاق بن راهويه والبخارى ، ومسلم · وابن عبد البر ، وشيخ الاسلام ابن تيمية ، وسائر الائمة الاعلام من أهل الفقه والحديث ·

بل الذى عليه هؤلاء الائمة ونظرائهم وهو الصواب الذى لا ريب فيه أن كل مذهب وكل قول يؤيده الكتاب العزيز والسنة الصحيحة أو الحسنة · أو اجماع أهل العلم هو الحق الذى لامحيص عنه ، وليس لأحد عليه أى اعتراض · بقطع النظر عن المذاهب الاربعة أو غيرها ·

ذلك أن الله تعالى أوجب علينا اتباع كتابه المنزل ونبيه المرسل · فقال الله تعالى (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ماتذكرون) وقال الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم · فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) ·

والرد الى الله تعالى هو الرد الى كتابه المجيد · والرد الى الرسول ، الى نفسه الكريمة فى حياته

والى سنته المطهرة بعد موته • وقال الله (فليحذر الذين يخالفون عن أمره ــ أى الرسول ــ أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) .

ولم يوجب الله علينا اتباع رجل بعينه الا الرسول عليه الصلاة والسلام • فمن أوجب على الناس أن يتبعوا رجلا معينا أو رجالا معينين • وان من خرج عن اتباع ذلك الرجل المعين زائغ ضال فقد أخطأ خطأ فاحشا وضل ضلالا مبينا • ولم يأت فى القرآن ولا فى السنة اتباع مذهب معين لا الأربعة ولا غيرها، وانما أوجب الله ورسوله اتباع الكتاب والسنة المطهرة ، لكن لما ذهب دور الصحابة والتابعين وأتباعهم من العلماء المحققين المجتهدين كالأئمة الاربعة ونظرائهم ، وضعفت ملكة الاجتهاد والاستنباط ولم يكلفوا أنفسهم عناء البحث وطلب الحجة والدليل • اخترعوا القول بالتقليد ولم يعجزوا أن يأتوا له بأدلة تؤيدهم فيما ذهبوا اليه ، وقالوا : ان الحق لايخرج عن نطاق الاربعة • حتى أن كثيرا منهم لا يعرف معنى الاجماع الا ما أجمعت عليه الأئمة الاربعة •

وأقول : قولهم أن الحق لا يخرج عن نطاق مذهب الأئمة الاربعة مسلم فى الغالب لا فى كل المسائل • والحق أن العاجز عن معرفة الدليل لابد له من تقليد

امام معتبر ، وفى التقليد خلاف لا يخفى وسيأتى بيانه •

وهؤلاء الاربعة اتفق أكثر المسلمين على امامتهم وهدايتهم ودرايتهم وانهم أهل للاتباع ولهم مكانتهم العلمية واحترامهم فى نفوس أهل السنة والجماعة ، وحقا انهم خدموا الشريعة وفتحوا طرق الحجة والاستنباط امام الراغبين فى العلم والمتعطشين اليه فأصبحوا أعلام هداية للسالكين • ولكن ليس معنى هذا أن نجمد ذلك الجمود الذى قال به الكثيرون ونضلل من خالف الأئمة الاربعة • ولو كان معتصما بالدليل ، ونقول ليس فى الامكان الاجتهاد المطلق أو الاجتهاد فى بعض المسائل • أو نقول : لا حاجة لنا لمعرفة الدليل ، لأن الأئمة رحمهم الله كفونا معرفة ذلك ، فان هذه الاقاويل لاتساندها الحجة والبرهان • بل مخالفة للعقل والعلم والحس والوجدان • والأئمة رحمهم الله حثوا الناس على معرفة الحجة والدليل ونهوا عن تقليدهم • ولكن التقصير جاء ممن قلدهم ولم يمش على منهجهم وسيأتى الكلام ان شاء الله تعالى فى آخر هذا الكتاب عن هذا الموضوع ولو بصورة موجزة وبالله التوفيق •